﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: 109]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربطُ أهوالِ يوم الحسابِ ببيان انقطاعِ الأسبابِ إلّا بإذن ربِّ الأرباب

بعد أن حكى سبحانه من أحوالِ يومِ القيامة، وما يكون فيه من الأهوال الَّتي تجعلُ المجرمين يتخافتون في حديثهم، وينسَون مقدار لُبثهم في الدُّنيا، وقفّى على ذلك بذكر سؤال مَن لم يؤمن بالحشر عن الجبال وأحوالها في ذلك اليوم، ثمَّ الإجابة عنه، وبيَّن أنَّ النّاس يسرعون إلى إجابة الدّاعي، ولا يُسمع لهم كلامٌ إلّا همسًا؛ بيَّن هنا أنَّ النّاس لا تنفعهم شفاعة الشّافعين إلّا إذا أذِن لهم الرَّحمنُ، ورضي للمشفوع له قولًا[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾: (شفع) أصلٌ يَدُلُّ على مُقارَنَةِ الشَّيئَين، وشَفَعَ فُلانٌ لِفُلانٍ، إذا جاءَ ثانيَهُ مُلتَمِسًا مَطلَبَهُ ومُعينًا لَهُ[2]، وشَفَع لي يَشفَعُ شَفاعةً، وتَشَفَّعَ: طَلب، والشَّفيعُ: الشّافِعُ، والجَمعُ شُفَعاء، واستَشفَعَ بفُلان على فُلانٍ، وتَشَفَّع لَهُ إليه، فشَفَّعَه فيهِ، والشَّفاعةُ: كَلامُ الشَّفيعِ لِلمَلِكِ في حاجَةٍ يسألُها لِغَيْرِه، وشَفَعَ إليه: في مَعْنَى طَلَبَ إليه، والشّافِعُ: الطّالِبُ لِغَيْرِه، يَتَشَفَّعُ به إلى المَطْلُوب[3]، ومنه: الشَّفاعَةُ في القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ [النّساء: 85]، أيْ: مَن يشفع فيما لا يجوز في الدّين أن يشفع فيه؛ يكن له نصيبٌ من الوِزر والإثم[4].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 151.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شفع).
(3) ابن منظور، اللّسان: (شفع).
(4) الواحديّ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص: 279، وكذلك: الرّاغب، المفردات: (شفع).

2) ﴿أَذِنَ﴾: (أذن) أصلٌ يدلُّ على العِلْم والإعْلام، تَقُولُ العَرَبُ: قَدْ أذِنْتُ بِهَذا الأمرِ، أيْ: عَلِمتُ، وآذَنَني فُلانٌ: أعْلَمَني، والمَصْدَرُ: الأذْنُ والإيذانُ، وفَعَلَهُ بِإذْني، أيْ: بِعِلْمي[1]، والإذنُ في الشَّيء: إعلامٌ بإجازته والرُّخصة فيه، نحو، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 64] أي: بإرادته وأمره[2]، أذِنَ بالشَّيْءِ إذْنًا وأذَنًا وأذانةً: عَلِم، وفي التَّنْزيلِ العَزيز: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: 279]، أي: كُونُوا على عِلْمٍ، وآذَنَهُ الأمرَ وآذَنهُ بِهِ، وأذِنَ لَهُ في الشَّيءِ إذْنًا: أباحَهُ لَهُ[3].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا سبيلَ إلى الشَّفاعة إلّا بإذنِ الله تعالى

يخبرُ النَّظمُ الكريم عن حقيقة من حقائق ذلك اليوم، الَّذي تخشع فيه الأصوات، وهي أنَّ الشَّفاعة لا تنفع أحدًا كائنًا مَنْ كان إلّا الشَّفاعةُ الَّتي يأتي بها مَن أذِنَ له الرَّحمنُ في ذلك، ورضي سبحانه ما يقوله الشّافع، فيمن يشفع له[4].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### سرُّ تكرار الظَّرف ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

تكرارُ ظرفِ القيامة لفتٌ لنظر العبادِ إلى أهمّيَّتها وعظمتها

كرَّر النَّظمُ الجليلُ ذكرَ لفظ اليوم، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾، بعد أن ذكره في صدر الآيةِ السّابقة، في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾، وذلك تعظيمٌ لشأنه، فكرَّر الإنذار منه مرَّةً بعد مرَّةٍ[5].

### بلاغةُ الإيجاز في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

يومُ القيامة لا تنفعُ الشَّفاعات إلّا بإذن ربِّ الأرض والسَّماوات

أوجزَ النَّظمُ الجليل بحذف المضاف إليهِ، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أذن).
(2) الرّاغب، المفردات: (أذن).
(3) ابن منظور، اللّسان: (أذن).
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 153.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 348.

﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾، والتَّقديرُ: (أيْ يَوْمَ إذْ خَشَعَتِ الأصْواتُ)، فالظَّرفُ مضافٌ إلى وقت الخشوع، وفي ذلك إيجازٌ بالحذف؛ لأنَّ المحذوف معلوم من السّياق، "والمعنى: يومئذٍ لا يستطيع أحدٌ أن يشفع لأحد، إلّا إذا أذِنَ اللّهُ له، ولا يأذن إلّا لمن علم أنَّهُ سيُجاب، قال بعض المحقِّقين: وإنَّما يكون الكلامُ ضربًا من التَّكريم، لمن يأذن اللّهُ له به، يختصُّ به من يشاء"[1].

### سرُّ التَّعبيرِ بالفعل المضارع المنفيِّ:

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع المنفيِّ، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾؛ للدَّلالة على دوام انتفاء النَّفع، فالاستمرارُ المستفاد من الفعل المضارع متعلِّق بدوام النَّفي، وفي ذلك تأكيدٌ على انقطاع الفائدة من كلِّ جهةٍ غير ما يأذن به اللّه تعالى.

انتفاءُ الشَّفاعة غيرُ منتقضٍ بزمان

### دلالةُ الاستثناءِ في الآية وبيانه:

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاستثناء التّامِّ في قوله تعالى: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ للدَّلالة على الاستثناء من عموم الشَّفاعة، والتَّقديرُ: (إلّا شفاعة مَن أذِن له الرَّحمنُ)[2]، وذلك لأنَّ الشَّفاعةَ تقتضي شافعًا؛ لأنَّ المصدرَ فيه معنى الفعل، أي: إلّا أن يشفع من أذِنَ له بذلك، فهو استثناء تامٌّ، وليس بمفرَّغ[3].

لا شفاعةَ في الآخرةِ إلّا بإرادةِ الله الآمرة

### نكتةُ إسناد النَّفعِ للشَّفاعة:

أسندَ النَّظمُ الجليل النَّفعَ إلى الشَّفاعة، في قوله تعالى: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، والنَّفعُ إنَّما يتحقَّقُ من صاحب الشَّفاعة لا من الشَّفاعة ذاتها، فهي لا تنفع بذاتها، فالإسنادُ جارٍ على طريقة المجاز العقليِّ، والغرضُ من ذلك تأكيد انتفاءِ النَّفع بأنَّ الشَّفاعة وإن حدثت فإنَّها لا تقدِّم شيئًا، ولا تؤخِّر.

انتفاءُ النَّفعِ عن الشَّفاعة ذاتِها مبالغةٌ في انتفاء الانتفاع

(1) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 7/ 148.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 348.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 310.

### سرُّ تقديم ﴿لَهُ﴾ على الفاعل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾:

الاهتمامُ بالمأذونِ له والتَّشويقُ بتأخير الآذن من براعةِ البلاغة

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور ﴿لَهُ﴾ على الفاعل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، لأنَّ الاهتمام في السّياق واقع على مَن أذِن له بالشَّفاعة، وفي التَّأخير تشويقٌ لمعرفة الآذنِ، فالله ﷻ ما أذِنَ للشافع بأن يشفع إلّا وقد أراد قبولَ شفاعته، فصارَ الإذنُ بالشفاعة وقبولها عنوانًا على كرامة الشافع عند الله تعالى[1].

### سرُّ إيثارِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ من بين الأسماء الحسنى:

الإذنُ بالشَّفاعة صورةٌ من صورِ رحمته تعالى

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ باسم الله تعالى الرَّحمن، الدّالِّ على كمال رحمته في قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾؛ تنويهًا بأنَّ الإذنَ بإيقاع الشَّفاعة والانتفاع منها إنَّما هو حاصل برحمة الله تعالى وفضل منه، لا بأي حقٍّ أو استحقاق آخر.

### فائدةُ عطف ﴿وَرَضِيَ﴾ على ﴿أَذِنَ﴾:

قبولُ الأقوالِ مشروطٌ بإذن ذي الجلال

عطف النَّظمُ الجليل الرِّضا على الإذن، في قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾؛ للإشارة إلى أنَّ الإذن بالشَّفاعة، لِمن أذِن الله تعالى له يحقِّق قبول القول والاستجابة لشفاعتهم، وأنَّ الرِّضا إنَّما كان لإذن الله تعالى لهم بالشَّفاعة، ومَن لم يُؤذن له فإنَّ قوله ليس مرضيًّا، ومفادُ ذلك أنَّه "يومئذٍ لا تنفع الشَّفاعة من أحد، إلّا من أكرمه الله، فأذِن له بالشَّفاعة، ورضي قولَه فيها، ولا تنفع الشَّفاعة في أحدٍ إلّا من أذِن الرَّحمن في أن يُشفع له"[2].

### دلالةُ حرفِ اللّام في ﴿لَهُ﴾:

لا يشفعُ في الآخرةِ إلّا من رضي الله له قولًا

عبَّرَ النَّظمُ الجليل باللام الدّالَّة على التَّعليل، في قوله تعالى:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 311.
(2) إبراهيم القطّان، تيسير التّفسير: 2/ 420.

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾، أي: ورضيَ لأجله قولَ الشّافع في شأنه، وأمّا غيرُه؛ فلا يُنتفع بالشَّفاعة[1]، وفي ذلك تكريمٌ للشّافع، وتنويهٌ بشأنه.

**فائدةُ تقديم ﴿لَهُۥ﴾ على ﴿قَوۡلٗا﴾:**

بيانُ حصولِ الرِّضا لأجله أهمُّ من القولِ المقبول

قدَّم النَّظمُ شبهَ الجملة على المفعول به، في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾، دون أن يقول: (ورضي قولًا له)؛ اهتمامًا وتنويهًا به، فإنَّ الرِّضا إنَّما وقع لأجله، ولما فيه من محافظة على النَّسق والفاصلة.

**نكتةُ تنكير القولِ في السّياق:**

حُسنُ القولِ صفةٌ لمن أُذِن لهم بالشَّفاعة

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن القول بصيغة التَّنكير في قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾، تفخيمًا لشأن القول المرضيِّ عنه، فالمرضيُّ عنه هو عموم الأقوال التي يقولها ذلك الشَّخص الذي أذن الله تعالى له بالشَّفاعة، وليس جنس القول، بل المرادُ أفراد المقولات جميعًا، فكلُّ عبارة يقولها مرضيٌّ عنها، وفي ذلك تنويهٌ بشأن مقولاته وتزكية له.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 43، والزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 89.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»